

الإبراهيمي ورؤيته الاستشرافية لإحياء اللغة العربية في الجزائر

حياة عمارة*

مريم جلائي**

تاريخ الوصول: ٩٢/٥/٢٢

تاريخ القبول: ٩٢/٩/٤

الملخص

يعدّ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عالماً من أعلام الإصلاح في الجزائر، ووجهاً بارزاً من وجوه البلاغة والأدب وأحد أشهر الكتاب الجزائريين المحدثين، تبنّى مشروعاً حضارياً عظيماً رأي فيه خلاص أمته من الاستعباد والذل والهوان؛ لا لأجل استرداد حريتها وخلصها من ربة الاستعمار الفرنسي فحسب، بل لاستعادة المكانة التي حوّلتها إليها الإسلام. وكان التجديد مبدأ انطلاقه وفتحة أعماله. ولا غرو إذا وجدناه يدعو إلى التجديد في اللغة العربية وإحياءها بغية مواكبتها لمتطلبات العصر وحفظها من الانحطاط والتراجع على الصعيد العالمي ومن ثمّ حفظها من انهيار الهوية والثقافة العربية والإسلامية وطمس معالمها؛ لأنه كما يقال: اللغة وعاء الفكر والثقافة. على هذا، قمنا في البحث الحالي بتسليط الضوء على آراء الشيخ محمد البشير الإبراهيمي التجديدية عن اللغة العربية باستخدام المنهج الوصفي التحليلي؛ ليتبين لنا رؤيته نحو إحياءها والارتقاء بمنزلتها. وقد ظهر من الدراسة أنه يؤمن بمسيرة التطور ومعايشة الواقع دون الانسلاخ عن القيم والتنكر لكلّ قديم لاحتفاظ باللغة العربية والارتقاء بمكانتها في زماننا الراهن.

الكلمات الدلالية: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، حركة التجديد، الجزائر، اللغة العربية، الهوية القومية.

* عضو هيئة التدريس بجامعة تلمسان (الجزائر)، فرع اللغة العربية وآدابها (أستاذة مساعدة) bestaouiimene@yahoo.fr

** عضو هيئة التدريس بجامعة كاشان، فرع اللغة العربية وآدابها (أستاذة مساعدة) maryamjalaei@gmail.com

الكاتبة المسؤولة: مريم جلائي

المقدمة

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من أبرز رواد الإصلاح والتجديد في الجزائر؛ ونحن إذا استقرأنا أدب الإبراهيمي وجدنا فيه صدى لمشروعه. وإذا كان أدبه يمثل مرحلة النضج في استكمال أدوات الكتابة، فإنه بلغ - على يده - ذروة الارتقاء في فن القول وديباجة العبارة واستحضار البيان العربي في أزهى عصوره؛ ذلك لأن الإطار الحضاري الذي يتحرك داخله الإبراهيمي هو إطار الحضارة العربية الإسلامية. كان ذلك دأبه وكل الأدباء المصلحين الذين استطاعوا «أن يشقوا طريقهم في إطار حركتهم الإصلاحية إلى مصادر التراث العربي الإسلامي وكنوز الأدب العربي في عصوره الزاهية ومضوا ينهلون من المنابع الثرة لهذه وتلك ويغترفون في الوقت ذاته من روافد النهضة الفكرية والأدبية الحديثة في المغرب والمشرق» (مرتاض، ١٩٨٥: ١٢٧). ذلك لأنهم آمنوا إيماناً راسخاً بأن إنقاذ الجزائر من خطر الفرنسة والتنصير لن يكون إلا عن طريق إحياء اللغة العربية، حتى تستعيد مكانتها كلغة ثقافة وعلم وأدب وإحياء الإسلام عن طريق تطهيره من الخرافات والأساطير التي شوّهت معالمه.

كان الإبراهيمي يؤمن إيماناً مطلقاً بأن اللغة العربية هي وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه، وأن المحافظة عليها تعني بقاء الإسلام والعروبة في الجزائر، لذا لا غرو إن وجدناه ينافح لأجلها ويكافح لبقائها بشتى الوسائل المتاحة، فقد شجّع على تعليم الجزائريين ذكوراً وإناثاً - وسعى لبناء المدارس الحرة وإنشاء الصحف المستقلة والنوادي والجمعيات. فضلاً عن أنه خصّ جانباً كبيراً من حياته لتعليمها، كما خصّ لها حيزاً كبيراً في كتاباته الغزيرة المادة البليغة الحجّة والأسلوب. وقد التزم في ذلك كله بمبادئه الثابتة المبنية على منهج الإصلاح والتجديد.

في ضوء ما بذله الشيخ الإبراهيمي من الجهود المضيئة في مسار إحياء اللغة العربية في الجزائر، من خلال دعوته الإصلاحية قمنا بإعداد البحث الراهن ليقدم رؤيته حول إحياء لغته الأم، اللغة العربية.

سؤال الدراسة

حاول البحث الإجابة على السؤال التالي:

- ما رؤية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي تجاه اللغة العربية وإحيائها في خضم الاستعمار الغربي، الذي حاول تدميرها لتغيّر ملامح الشخصية العربية والإسلامية في الجزائر؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى ما يأتي:

- إشارة عابرة إلى أهم الإشكاليات التي تعاني منها اللغة العربية في العالم العربي والجزائر تحديداً من رؤية الشيخ الإبراهيمي.
- إبراز آراء الشيخ الإبراهيمي عن إنقاذ اللغة العربية من تأمر أعداء الإسلام والعروبة عليها والحفاظ عليها، ومن ثم الهوية العربية والإسلامية في كل بقاع العالم الإسلامي.
- المساهمة في إيجاد طرق لإحياء اللغة العربية في الجزائر وعدم الذوبان في لغات الآخرين وهويتهم، على أساس آراء الشيخ الإبراهيمي باعتباره من أبرز أقطاب الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي والجزائر تحديداً.

أهمية الدراسة

هذا البحث يعد جديداً ومميزاً؛ لأنه يهتم بأراء واحد من رواد حركة الإصلاح والتجديد في الجزائر عن قضية محورية، ألا وهي اللغة العربية بوصفها أساس الهوية العربية والإسلامية.

منهج الدراسة

وأتبعنا منهجاً وصفيّاً في جمع آراء الشيخ الإبراهيمي عن اللغة العربية من خلال آثاره القيمة، ثم قمنا بتقديم رؤيته نحو إحياء هذه اللغة.

خلفية الدراسة

من أبرز الدراسات العربية التي تناولت الفكر الإصلاحى للشيخ محمد البشير الإبراهيمى يمكن الإشارة إلى ما يلى؛

- «النثر الفنى عند البشير الإبراهيمى» لمؤلفه عبد الملك بومنجل قام بنشره بيت الحكمة بالجزائر عام ٢٠٠٩ م.
- «معالم الفكر الإصلاحى عند الشيخ البشير الإبراهيمى» للباحث بلعمرى أكرم عام ١٤٣٠ ق.
- «ملامح الفكر التجديدى عند الشيخ البشير الإبراهيمى» للباحث ناصر أحمدسنه منشورة فى موقع رابطة أدباء الشام عام ٢٠١٠ م.
- «الجمال والجلال فى تجربة محمد البشير الإبراهيمى الخطابية» للباحث العربى عبد/لقادر منشورة فى موقع أصوات الشمال.
- «الآراء النقدية للشيخ البشير الإبراهيمى فى كتابة التراث الشعبى والشعر الملحون فى الجزائر» للباحث عبد/حميد هيمة نشرت فى مجلة الأثر عام ٢٠١٣ م.

▪ «بناء الأسلوب فى المقالة عند الإبراهيمى» لمؤلفه عبد/حميد بوزوينة قام بنشره ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر.

كما لاحظنا عدداً من الدراسات الاختصاصية عن الرجل الجزائرى الكبير الشيخ الإبراهيمى يتبين لنا أن موضوع بحثنا، وذلك رؤية الشيخ الإبراهيمى الاستشراقية لإحياء اللغة العربية، لم يحظ بما يستحقه من دراسة واهتمام؛ فتحاول الدراسة الحالية قدر المستطاع سدّ النقص فى هذا الجانب من الآراء الإصلاحية للشيخ الإبراهيمى.

نبذة عن حياة الشيخ الإبراهيمى

ولد محمد البشير الإبراهيمى فى ١٤ جوان ١٨٨٩م بسطيف شرقى الجزائر. حفظ القرآن ودرس بعض المتون فى الفقه واللغة العربية. وفى سنة ١٩١١م توجه نحو المشرق، فمرّ بالقاهرة وتعرّف فيها على بعض الشعراء والمفكرين، وتأثر بأفكار المصلحين العظيمة: جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده. ثم قصد المدينة المنورة فأقام فيها، وتفرغ

للدّراسة، وألقى دروساً بالحرم المدني (شاوش وبن حمدان، ٢٠٠١م: ٤٤٩) وهناك أفاد من الكتب القديمة والحديثة (عمر بن قينة، ١٩٨٣، ٤٣) في سنة ١٩١٦م انتقل إلى دمشق، واشتغل بالتدريس، وحاضر في النوادي والمساجد حتى أواخر ١٩٢٠م، سنة عودته إلى الجزائر.

عمل في التعليم رفقة صديقه عبد الحميد بن باديس. وفي سنة ١٩٣١م أسّس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، وتعاقبا على رئاستها (عباس، ١٩٨٤: ٤٣) استقرّ بتلمسان مدة ثمان سنوات يلقي الدروس (عمر بن قينة، ١٩٩٣: ٢١١) وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية أُجبر على الإقامة بأفلو بالجنوب الوهراني. في سنة ١٩٤٤م عاد إلى مصر واستقرّ بالقاهرة أيام الثورة، ولم يعد إلى أرض الوطن إلا بعد الاستقلال. ومكث بالوطن الأمّ إلى أن وافته المنية سنة ١٩٦٥م (عباس، ١٩٨٤: ٤٢).

كان الإبراهيمي من المفكرين المبرزين، والكتاب المرموقين، وذوى الثقافة الواسعة، يتجلى ذلك فيما كتبه من المقالات التي كان ينشرها بجريدة البصائر، وجمعها في كتاب «عيون البصائر» وهي مقالات تمتاز بالأسلوب الجميل والمعنى الجليل، والهدف النبيل، والرأى الأصيل، وعمق التحليل، وقوة التدليل، ودقّة التعليق (الإبراهيمي، ٢٠٠٧: الغلاف).

حال اللغة العربية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي

اهتمّ الفرنسيون منذ اللحظة الأولى من احتلالهم للجزائر بدراسة اللغة العربية، إيماناً منهم أنّ ذلك يمكنهم من فرض سلطانهم على الشعب الجزائري. فقد بذلوا أقصى جهودهم، منذ دخولهم إلى الجزائر في يوليو عام ١٨٣٠م، حتى خروجهم من الجزائر مطرودين مهزومين في عام ١٩٦٢م، لطمس معالم اللغة العربية لا في التعليم فقط، ولكن في الإدارة وحتى في الحديث العادي بين جماهير الشعب الجزائري. ثمّ ما لبث المحتلّ أن أفصح - جهراً - عن نواياه المبيتة للقضاء على اللغة العربية حين أصدر في عام ١٩٣٨م قراراً يعتبرها لغةً أجنبيةً في الجزائر لا يجوز تعلّمها وتعليمها إلاّ على هذا الأساس، في حين اعتبر لغته الفرنسية هي اللغة الرسمية ولغة السيادة.

وقد عمل على تدريس العربية الدارجة لضباط الجيش والرّاعبين في العمل الإدارى من المدنيين من الفرنسيين، وضيّق الخناق على حفظة القرآن من أبناء الجزائر، إذ حرمهم من دراسة العلوم المساعدة على فهمه وتفسيره، وبذلك كادت تختفى العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وإنشاء وعروض، والعلوم الدينية من فقه وتوحيد وحديث وتفسير، لولا وجود بعض الزوايا التي حاولت أن تصدّه فحافظت بذلك على اللغة العربية (سعد الله، د.ت، ٩٠)؛ وقد ذهب المحتلّ إلى أبعد من ذلك حين حاول الفصل بين العنصر العربى والعنصر البربرى وسعى إلى «إقامة ثقافة وقيم منفصلة للبربر تستمدّ من تراثهم القديم قبل ارتباطهم بالعرب، وقد عمدوا في هذا، البحث عن الروحانية القديمة التي عرفها البربر في اتّصالهم بروما، وأذاعوا فيهم الدّعوة إلى تحريرهم من سيطرة العرب الروحية والزمنية» (الجندي، ١٩٦٠: ٢٢٦).

ولم تكن تلك المحاولات وتلك القرارات إلّا وجهاً من أوجه الحرب الصليبية التي شنتها رجال الاحتلال الفرنسى والمبشرون المسيحيون، وهم الطليعة الأولى للاستعمار الأوروبى في الأقطار العربية الإسلامية، على اللغة العربية والدين الإسلامى، والقرآن الكريم، والثقافة العربية الإسلامية، طيلة وجود الاستعمار الفرنسى في الجزائر (عباس، ١٩٨٤: ١١). لقد كان الاستعمار والمبشرون يعتقدون جازمين بأن نجاحهم في القضاء على اللغة العربية، سوف يسهل لهم بدون شك القضاء على الإسلام، ليتّم لهم بذلك إلحاق الجزائر إلحاقاً نهائياً بفرنسا، فيما وراء البحر الأبيض المتوسط.

ولمّا كانت اللغة العربية هي المقوم الرئيسى للشخصية الوطنية العربية في الجزائر، كان الصراع محتدماً على أشده، وعنقوانه بين رجال التعليم العربى الحر من ناحية، وبين الإدارة الاستعمارية ورجال التبشير المسيحى من ناحية أخرى، طيلة قرن واثنين وثلاثين سنة. وقد صوّر لنا الشيخ الإبراهيمى الحرب التي شنتها فرنسا على الإسلام واللغة العربية في الجزائر حين صرّح أنّ: «مشكلة العروبة في الجزائر أساسها وسببها الاستعمار الفرنسى، وهو عدوّ سافر للعرب وعروبتهم ولغتهم، ودينهم الإسلام... وبيان ذلك مع الإيجاز أنّ الاستعمار الفرنسى صليبي النزعة، فهو منذ أن احتلّ الجزائر عامل على محو الإسلام؛ لأنّه الدّين السماوى الذى فيه من القوّة ما يستطيع به أن يسود العالم، و على محو اللّغة

العربية لأنها لسان الإسلام، و على محو العروبة لأنها دعامة الإسلام...»(الإبراهيمي، ١٩٤٨: عدد ٤١).

وقد رأى المصلحون بثاقب بصيرتهم أن إنقاذ الجزائر من خطر الفرنسة، والتنصير، إنما يكون عن طريق العمل على إحياء اللغة العربية وإنقاذها من التغريب، حتى تعود لها مكانتها في الجزائر كلغة ثقافة وعلم، وأدب، فأعلنوا - والشعب الجزائري معهم - اللغة العربية مظهراً لكرامتهم وعنواناً لبقائهم، وشعاراً للنهضة العلمية، ولساناً يحمي العروبة والإسلام من بلاء الاستعمار ومضايقته (محمد عباس، ١٩٨٤: ١٢)، ولم تحلّ سنة ١٩٦٢م - سنة الانعتاق والتخلص من ربة الاستعمار - إلا والمجتمع الجزائري بأسره يؤمن أن الرجوع إلى اصالته وهويته لن يتم إلا بالاستعمال الموسع للغة العربية لاسيما وقد اعتبرها الدستور الصادر سنة ١٩٦٣م اللغة الرسمية في الجزائر.

مفهوم التجديد عند البشير الإبراهيمي

التجديد عند الإبراهيمي هو الاجتهاد الفكري لمسيرة تطوّر الحياة وتغيّرها الدائم، فهو يرى أن «الدعوة إلى تمثّل القديم بقضه وقضيضه هي دعوة إلى الجمود والدعوة إلى التغريب والتّحديث بدورها هي دعوة إلى الانسلاخ الحضاري، والمسح القومي وفي كلا الدعوتين شرّ وبيل على الأمة»(الدراجي، ٢٠٠٨: ٤٧). لذا نجده يقف موقفاً وسطاً؛ فهو حين يذهب إلى إحياء التراث العربي والمحافظة على مقومات الأمة لم يكن يريد الركون إلى الماضي بل الإفادة منه واستلهامه واستخلاص العبر؛ يقول: «ولئن قال لنا أقوام إنكم تعيشون في الماضي القديم لنقولنّ إننا نعيش بالاستمداد من الماضي والعمل للحاضر والاستعداد للمستقبل»(الإبراهيمي، ١٩٧٨، ج ١: ٣٨٠).

فالتجديد عند الإبراهيمي يتمثّل في مسابقة التطور ومعايشة الواقع الإنساني دون الانسلاخ عن القيم والتنكر لكلّ قديم، وهو بمعنى آخر العودة إلى الإسلام لفهمه فهماً سليماً، وتطبيقه تطبيقاً صحيحاً مع الانفتاح على الواقع المعاصر وانتقاء ما يجب أخذه؛ يقول: «إنّ الجمعيات لا تبقى ولا يضمن لها الدوام إلا إذا كان في المعنى الذي أسست لأجله عنصر من عناصر التّجديد لطائفة أو لأمة، وتكون قواعد العمران وأصول الأديان مقتضية له في حياة تلك الأمة الروحية والمادية، وما من جديد في حياة الأمة إلا وله

أصل اندثر وذهبت منه العين أو الأثر فتقوم الجمعيات بإحيائه أو تجديده فيكون لها الاجتماع - وفيه قوّة - مؤازر من معنى الجدّة وفيه قوّة أخرى فتصير القوتان للجمعية بمثابة جناحين تطير بهما إلى الكمال...» (المصدر نفسه: ٥٩).

فالتجديد في نظره هو عملية متكاملة بين العودة إلى القديم والتطلّع إلى الجديد في آن واحد، وإنا لنلتمس هذا المعنى الشمولى لدى الإمام حين يشير إلى نوع خاص من المحافظة «...محافظة مهذبّة تسيرنا في طور الانتقال وتكون لنا قنطرة نعبّر عليها من قديمنا إلى الصالح الذي ننشده وتقينا شرّ الذبذبة التي هي وليدة الطفرة» (المصدر نفسه: ٢٣).

ويقوم التجديد عند الإبراهيمي على أربع ركائز؛ هي الدين، الأخلاق، العلم، والمال؛ وهي أسس مترابطة ومتماسكة يكمل بعضها البعض، ويُشترط لتحقيقها التفاف أبناء الأمة الواحدة واجتماعهم ونبذ كلّ ما من شأنه تفرقتهم من أهواء، وتحزّب، وتشيع، يقول: «إذن نحن محتاجون إلى تكوين اجتماع خاص تنتج عنه نهضة منظمة في جميع لوازم حياتنا القومية الخاصة، وألزم هذه اللوازم أربع: الدين، الأخلاق، العلم والمال» (المصدر نفسه: ٩). لذلك نجده يصوّب اهتمامه نحو هذه الأسس يتعهدها بالإصلاح لأجل تحقيق الهدف الذي ينشده وأقرانه المصلحون «إنّ الهدف في الأخير الذي يحدّده التاريخ لهذه الجمعية، هو اليوم الذي يصبح فيه المسلمون كلّهم بهذا الوطن ولا مرجع لهم في التماس الهداية إلاّ كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا سلطان على أرواحهم إلاّ لله الحيّ القيوم، ولا مصرف لجوارحهم وإرادتهم إلاّ الإيمان الصحيح تنشأ عنه الأعمال الصالحة...» (الإبراهيمي، ١٩٧٨، ج ١: ٦٣).

ولإدراكه الراسخ أنّ تحقيق ذلك الهدف السامي لن يكون أمراً هيّناً بالنظر للظروف الاستعمارية التي كان يبرزاً تحتها الشعب الجزائري، جعل الشيخ الإبراهيمي الإصلاح العلمي الخطوة الهامّة الثانية في العملية التجديدية بعد الإصلاح الديني الذي كان يعدّه ضرورة ملحّة. وهو يربط الخطوتين معاً بالدفاع عن اللغة العربية كونها تمثل وعاء الإسلام من جهةٍ وعنوان السيادة والهوية من جهةٍ ثانيةٍ.

جهود الإبراهيمي لإحياء اللغة العربية

أولى الشيخ الإبراهيمي اللغة العربية اهتماماً كبيراً، وقد عرف بشدة حبه لها وتعلقه بها، ذلك لأنه أيقن أنها أساس الهوية وعنصر الانتماء للأمة الجزائرية وأن اندثارها يعنى موت الأمة؛ يقول «إنّ هذه الأمة تعتقد وتموت على اعتقادها أنّ لغتها جزء من كيانها السياسي والدّيني وشرط في بقائها...» (الإبراهيمي، ٢٠٠٧: ٣١٣) وهو يرى أنّ لغة الأمة هي ترجمان أفكارها وخزانة أسرارها، ويؤكد أنّ الأمة الجزائرية تعتقد جازمة «أنّها حافظة دينها ومصحّحة عقائدها، ومدوّنة أحكامها، وأنّها صلة بينها وبين ربّها، فهي لذلك عليها يد الضنّانة، وما نوّد أنّ تبدل بها لغات الدّنيا وإن زحرت بالأداب وغازت بالمعارف، وسهلت سبل الحياة، وكشفت عن مكنونات العلم. فإن أخذت بشيء من تلك اللّغات فذلك وسيلة إلى الكمال في أسباب الحياة الدّنيا، أمّا الكمال الروحاني والتمام الإنساني فإنّها لا تنسده ولا تجده إلّا في لغتها التي تكوّن منها تسلسلها الفكري والعقلي وهي لغة العرب» (المصدر نفسه: ٣١).

فأبناء الجزائر لا يستطيعون ولا يريدون استبدال لغتهم الأمّ بلغات أجنبية، ولئن استعانوا بهذه الأخيرة في الأمور الدنيوية فإنّهم احتفظوا للعربية بمكانتها؛ ذلك لأنّها السبيل الوحيد لتحقيق الكمال الروحي والتمام الإنساني. وهو ما يحسب للغة العربية كونها تستطيع أن تعيش مع مختلف اللغات والحضارات وتعايشها، كما تستطيع أن تستوعب تاريخ وحضارة الإنسانية؛ «وقد كانت هذه اللّغة ترجماناً لكثير من الحضارات المتعاقبة التي شادها العرب بجزيرتهم، وفي أوضاع هذه اللّغة إلى الآن من آثار تلك الحضارات بقايا وعليها من رونقها سمات، وفي هذه اللّغة من المزايا التي يعزّز نظيرها في لغات البشر الاتّساع في التعبير عن الوجدانيات، والوجدان أساس الحضارات والعلوم كلّها» (الإبراهيمي، ١٩٧٨، ج ١: ٣٧٤).

فاللغة العربية ليست جامدة غير قادرة على استيعاب ما وصلت إليه الحضارات، بل إنّها لغة طيّعة تستطيع احتواء حضارات متعدّدة، ذلك ما يؤكّده في خطابه لأبنائها من الجزائريين «أيّها الإخوان: لو لم تكن اللّغة العربية لغة مدينة وعمران، ولولم تكن لغة متّسعة الأفاق غنيّة بالمفردات والتراكيب لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند ولأزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم تعليم تلك اللّغات، ولو فعلوا

لأصبحوا عرباً بعقول فارسية وأدمغة يونانية ولو وقع ذلك لتغيّر مجرى التاريخ الإسلامى برمته... لو لم تكن اللّغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم وما العالم إذ ذاك إلّا هذه الأمم الّتى نقل عنها المسلمون» (المصدر نفسه: ٣٧٦).

لهذه الأسباب ولكون اللّغة العربية عنده تتلاحم مع الإسلام والعروبة تلاحماً مكيناً، وهى تمثّل له مبدأً جوهرياً ومكوّناً رئيسياً من مكوّنات هويّته الأصيلة وهويّته أمّته (عباس، ١٩٨٤: ١٢٣). نجد الإبراهيمى ينادى بوجود إحيائها ونشرها بين أبناء الجزائر لأجل إفشال مخطّطات العدو الصليبية الرامية للقضاء على اللّغة العربية فى الجزائر وقد وضع الأصعب على مكن الداء حين صرّح مشكلة العروبة فى الجزائر أساسها وسببها الاستعمار الفرنسى، وهو عدوّ سافر للعرب وعروبتهم ولغتهم، ودينهم الإسلام... وبيان ذلك مع الإيجاز أنّ الاستعمار الفرنسى صليبي النزعة، فهو منذ أن احتلّ الجزائر عامل على محو الإسلام لأنّه الدين السماوى الذى فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى محو اللّغة العربية لأنّها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة لأنّها دعامة الإسلام، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدّية إلى ذلك ظاهرة وخفية، سريعة ومتأنية، وأوشك أن يبلغ غايته بعد قرن من الزمن متّصل الأيّام والليالى فى أعمال المحو، لولا أن عاجلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأس القرن بالمقاومة لأعماله والعمل على تخييب آماله (أنظر: الإبراهيمى، ١٩٤٨).

فبالرغم من أنّ المحتلّ قد استطاع أن يفرض أحكامه وقوانينه الجائرة بالقوّة، وتمكّن أن يخفى الإرث العربى الإسلامى، ويشلّه زمناً طويلاً إلّا أنّه لم يتمكّن من القضاء عليه وإتلافه (شريط، ١٩٨٣: ٥٤). ذلك لأنّه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعانى الكينونة والهويّة: كينونة الشعب الجزائرى وهويّته. هذا الأخير الذى ظلّ صامداً أمام جبروت المحتلّ يردّ مكائده وافتراءاته الّتى تنكر عليه جنسه ولغته وقوميّته، لاسيما وقد كان زعماء الإصلاح يشدّون أزره ويدعونه إلى إحياء اللّغة العربية وبعث الدّين الإسلامى بعثاً جديداً.

يقول الشيخ الإبراهيمى «اللّغة العربية فى الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة بل هى فى عقر دارها وبين حمايتها وأنصارها، وهى ممتدّة الجذور مع الماضى مشدّدة الأواخى مع الحاضر، طويلة الأفنان فى المستقبل لأنّها دخلت هذا الوطن. ممتدّة مع الماضى لأنّها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين، ترحل برحيلهم، وتقيم بإقامتهم. فلمّا

أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية، لا تريم ولا تبرح مادام الإسلام مقيماً لا يتزحزح ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس وتنساع في الألسنة واللّهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه يزيدا طيباً وعدوبةً أن القرآن بها يتلى وأن الصلوات بها تبدأ وتختتم» (الإبراهيمي، ٢٠٠٧: ٢٢١).

ولأنّ اللّغة العربية كذلك، ولأنّها تمثّل إحدى أهمّ ركائز الأمتة ومقوماتها، كان لها على الشعب الجزائري حقان: حق من حيث أنّها لغة دين الأمتة بحكم أنّ الأمتة مسلمة. وحق أنّها لغة جنسها بحكم أنّ الأمتة عربية الجنس. وفي المحافظة عليها محافظة على الجنسية والدين معاً؛ يقول: «اللّغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثمّ فهي لغة المسلمين الدينية الرسميّة، ولهذه الأمتة الجزائرية حقان أكيدان كلّ منهما يقتضى وجوب تعلّمها فكيف إذا اجتماعاً؛ حق من حيث أنّها لغة دين الأمتة بحكم أنّ الأمتة مسلمة، وحق أنّها لغة جنسها بحكم أنّ الأمتة عربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معاً...» (الإبراهيمي، ٢٠٠٧: ٢٤).

على أنّ ثمة ظاهرة عرف بها الإبراهيمي - وكلّ زعماء الإصلاح - يجب الوقوف عندها، تلك هي ظاهرة التمسك بالدين والعروبة وكيف كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الجهاد والاستشهاد في سبيل جزائر عربية إسلامية (انظر: سلمان، ١٩٨١: ٣٣٤). وهو اتجاه كان عملياً وحيوياً في قضيّة التحرير الوطني العام؛ لأنّها كانت الردّ الطبيعي على السياسة الاستعمارية الصليبية التي سلكتها فرنسا في الجزائر «ولو نشاء لقلنا أحيينا اللسان العربي والنخوة العربية وأحيينا دين الإسلام وتاريخه المشرق، وأعدنا لهما سلطانهما على النفوس وتأثيرهما في العقول والأرواح وشأنهما في الاتّعاظ والأسوة. فأحيينا بذلك كلّ الشعب الجزائري فعرف نفسه فاندفع إلى الثورة يحطّم الأغلال ويطلب بدمه الحياة السعيدة والعيشة الكريمة ويسعى إلى وصل تاريخه الحاضر بتاريخه الغابر» (الإبراهيمي، ١٩٧٨، ج ٥: ١٦٩).

أسلوب الإبراهيمي الأدبي

للإبراهيمي مقالات مختلفة في الدين والإصلاح والاجتماع والسياسة، ولغته هي دائماً تلك اللّغة التي تغني قاموسنا اللّغوي لأنّها استمدت من محيط اللغة العربية منذ

عصورها الأولى، وأسلوبه هو أسلوب البلغاء العرب منذ *الجاحظ* حتى عصرنا الحاضر (ركيبي، ١٩٧٤: ١٤٨). فالدارس لنثر الإبراهيمي يتبين له بوضوح مبلغ تأثيره بالاتجاهات الأدبية القديمة، ومدى اعتماده على أساليب بعض أرباب البيان العربي القديم (بومنجل، ٢٠٠٩: ٩٠)؛ لذا يمكننا تصنيفه ضمن الأساليب الأدبية الكلاسيكية وعلّة ذلك ما حفظه من موروث أدبي ضخم لاسيما وقد دُرّب منذ الصغر على معايشة القرآن الكريم والبيان العربي، فحفظ الأول كلّ وحفظ من الثاني الكثير من الآثار شعرية ونثرية.

وكان لهذه الثقافة العربية والأدبية العميقة أثر كبير في أدبه فأنت «إذا رأيت أسلوب *الإبراهيمي* قوياً جزلاً ومتيناً رصيناً فيما حفظه *للشنفرى* و*امرئ القيس*، ولمن جاء بعدهما من فحول الشعراء عبر العصور الأدبية المختلفة. وإذا رأيتَه يجنح أحياناً إلى السجع فلا تحسبن ذلك منه تكلفاً وتصنعاً، وإنما هو أمر طبيعي بالقياس إلى أديب ينبغي أن يكون قد حفظ أطرافاً صالحةً من نهج البلاغة ومتون المقامات وأحاديث الأعراب» (مرتاض، ١٩٨٥: ١٢٧). استطاع *الإبراهيمي* أن يجمع بين العناية بالصياغة وبين التعبير عن العاطفة والشعور المتقد، كما تمكّن من الجمع بين الفكرة الإصلاحية في مضمونه وبين الجمال الأدبي في تعبيره، وهو يعنى بالصور البيانية بشكل جليّ وتظهر الثقافة العربية بمختلف فروعها وتنوّع منابعها في لغته وأسلوبه (عمران، د.ت: ١٧).

غير أن هذا لا يعنى أن نثر *الإبراهيمي* هو مجرد محاكاة لأساليب النثر العربي القديم، بل إن عبقريته تتجلى في كونه تمكّن من الإفادة من ذلك الإرث بمقدار ما يريد دون أن يكون صورة منسوجة عن أديب سابق. ثم إن *الإبراهيمي* استطاع أن يجدد في الأسلوب ويبرز تميّزه واستقلاله في مجال الإبداع، وهو في ذلك يجمع بين الأصالة والتّجديد حتى غدا رائداً لمدرسة أدبية كاملة في الجزائر هي المدرسة المحافظة أو المدرسة الإبراهيمية كما يسمّيها الدكتور عبد الملك مرتاض (مرتاض، ١٩٨٣: ٣٢٤).

إنّ المطلّع على آثار *الإبراهيمي* يكشف عبقرية أدبية عالية المستوى، ومنهجية في التعبير واضحة المعالم متفرّدة السمات، تجمع بين الأصالة المبدعة والإبداع الأصيل ممّا يخوّله أن يكون «زعيماً للمذهب الفنّي التعبيري في الكتابة العالية، من تأنق في الألفاظ ولكن بدون إسراف، وحرص على زخرفة القول ولكن بدون إفراط، إلى اصطناع الجمل القصار، واستخدام السجع اللذيذ المقبول، إلى رشّ الكلام بألوان من المحسّنات البديعية

المختلفة التي تجعل من الكلام لوحة فنية تستهوى الأبواب وتخطف العقول التي تذوق الأدب وتهوى الكلمة الجميلة» (المصدر نفسه: ٣٣٥).

يتميز أسلوب الإبراهيمي بالخفة، والأناقة، والقوة، والرصانة، فيه جزالة الألفاظ وقوتها وتناسق العبارات وتآلفها؛ يبدو الإبراهيمي خلاله حريصاً على دقة اختيار الألفاظ، والاهتمام بحلاوة الإيقاع، والاعتماد على الجمل القصيرة والعبارات الأصلية. والنصوص التي تبرز هذه الخصائص من الكثرة بحيث لا يمكننا حصرها في بحثٍ واحدٍ (فهى تحتاج إلى أسفار وليس أبحاث) ولكن حسبنا أن نشير إلى بعض منها لنستدل على صحة ما نذهب إليه. يقول في خاطرته (عيد الأضحى وفلسطين):

«النفوس حزينة، واليوم يوم زينة، فماذا نصنع؟

إخواننا مشردون، فهل نحن من العطف والرحمة مجردون؟

تتقاضنا العادة أن نفرح في العيد ونبتهج، وأن نتبادل التهاني، وأن نطرح الهموم، وأن نتهادى البشائر، وتتقاضنا فلسطين أن نحزن لمحنتها ونغتم، ونعنى بقضيتها ونهتم، ويتقاضانا إخواننا المشردون في الفيافي، أبدانهم للسوافى وأشلاؤهم للعوافى، أن لا ننعيم حتى ينعموا وأن لا نطعم حتى يطعموا.

ليت شعري... هل أتى عبّاد الفلس والطين، ما حلّ ببني أبيكم في فلسطين؟

أيّها العرب لا عيد حتى تنفذوا في صهيون الوعيد، وتنجزوا لفلسطين المواعيد... ولا نحر حتى تغذفوا بصهيون في البحر. ولا أضحي حتى يظلماً صهيون في أرض فلسطين ويضحى...

أيّها المسلمون: افهموا ما في هذا العيد من رموز الفداء والتضحية والمعاناة، لا ما فيه من معاني الزينة والدعة والمطاعم، ذاك حقّ الله على الروح، وهذا حقّ الجسد عليكم...» (الإبراهيمي، ٢٠٠٧: ٥٢٦)

إنّ أول ما يلفت انتباهنا عند قراءة لنا للخاطرة هو ذاك الإيقاع المتمم والاعتماد على الجمل القصيرة والتراكيب الجميلة المتنوعة، والتأنق في الشكل والتفنن في الصياغة. وهو دأب الكاتب في معظم كتاباته. لكننا معذلك نلفى له كتابات أخرى لا تقلّ جمالاً عن هذه وإن وجدناها تخلّت عن الأسجاع والإيقاعات الموسيقية لكنّها لم تفقد جمالياتها الفنية بل لنقل قد أضفى عليها صاحبها عمقاً في المعاني، مثل ذلك ما جاء في خطابه لأحد

خصوصه: «أيها الشيخ! إنَّ البلاء موكل بالمنطق وإنَّ من قال كلَّ ما يحبَّ سمع بعض ما يكره، وأنَّ من اشتغل بالناس يوشك أن يشغله النَّاس عن نفسه، وأنَّك ستتجنَّى وتتنهم وتتعنت، وتذهب في التَّأويل كلَّ مذهب، ولكنَّك لا تأتي بشيء جديد، فكلَّ ما تقوله غدا قد قلته أمس مكرراً ومعاداً، وأنت امرؤ بادي المقاتل لخصومك، بادي الهنات لأصدقائك! ومن كان مثلك، لا يضرَّ عدوًّا، ولم يسرَّ صديقاً» (المصدر نفسه: ٦٤٥).

يعلق عبد الملك مرتاض عن هذه القطعة فيقول: «إنَّ الذي يتأمل ألفاظ النص يجدها من القوة و الجزالة والفصاحة ما لا يتوقَّر مثلها إلَّا في أساليب الكُتَّاب الكبار. وقد سخر الشيخ في ذلك محفوظه الوفير من النصوص الأدبية القديمة فبنى على هذا المحفوظ كلمته هذه، وأخرجها مخرجاً بلغ من القوة والجزالة والفحولة شأواً بعيداً، وكانت نتيجة لذلك غاية في الجمال وأناقة الأسلوب» (١٩٨٣: ٣٣٨).

ومثل هذه العبارات الموجزة يستعملها الشيخ كلَّما أراد أن يختم مقالاته بفكرة «يستودعها في النَّفوس ويقرّها في العقول وتذهب مثلاً شروداً» (فيصل، ١٩٨٥: ٢٠٧)، مثل ذلك ما قاله في نهاية مقاله «فصل الدِّين عن الحكومة» يهاجم بعض رجال الدِّين المترلِّفين للولاة «من ينصب نفسه دريئة، فلا يرج أن تكون عيشته مريئة، ولا يدع أن ذمته بريئة» (الإبراهيمي، ٢٠٠٧: ١٦٢). إنَّ مثل هذه الخواتيم في مقالاته يذكّرنا بفنّ التوقيعات الذي شاع في العصر العباسي: عبارات بليغة، موجزة، تعلق بالأذهان لما تتمتع به من خصائص فنيّة وما تحويه من حكم.

ومن مظاهر الإنافة والبلاغة في أسلوب الإبراهيمي أيضاً الدقّة في اختيار الألفاظ، والإكثار من استعمال المترادفات، يقول: «وما كان سكوتنا - علم الله - سكوت المشدوه عقدت الحيرة لسانه ولا سكوت الجبان المنخوب سكن الهلع جنانه، ولا سكوت الغافل الغرير تفاجئه أحداث الدهر فيلجم لها ويطلق» (الإبراهيمي، ١٩٧٨: ١٩٠).

إنَّ مثل هذه العبارات تجعلنا ندرك أنَّ الإبراهيمي كان دقيقاً في انتقاء ألفاظه، حريصاً على أن تؤدّي كلَّ لفظة وظيفتها بعمق ودقّة، كما كان يعمد إلى الغريب أحياناً والذي بلغ ذروته في «سجع الكهّان» - وإن كان يرى أنه ليس غريباً في ذاته - يقول: «وفي هذه الفصول من لبوس الألفاظ ما يعدّه المتخلفون من كتابنا غريباً وما غرابته في أدواقهم، إلَّا كغربة الأعلاق النفيسة في أسواقهم، ولو حفظوه ووعوا معانيه وأقروه في

مواضعه من كلامهم وأحسنوا إجراءه في ألسنتهم وأقلامهم، لأحيوه فحيوا به، ولأصبح مأنوساً لا غريباً، وأصبحوا به من لغتهم قريباً، ولكن أعيانهم الإحسان، فغفروا في وجوه الحسان. وعجزوا في جنى الثمرة عن الهصر، فرضوا من اللّغة بما يباع في سوق العصر» (الإبراهيمي، ٢٠٠٧: ٥٩٥).

فهو يرى أنّ ما يجده الناس غريباً، ليس غريباً إلاّ على الغرباء عن العربية أمّا المتضلعون فيها والمتبحرون في علومها فإنّهم يستأنسون بها لأنّها ليست غريبة عندهم. وإلى جانب اهتمامه باللّفظ المفرد، اهتمّ الإبراهيمي بالتراكيب المنتظمة يقول: «يعزّ على هذا القلم الذي لا يكاد يجفّ مداده ولا تنقطع من القريحة أمداده، أن تصاب تونس العريضة في مناط أملها بل في نياط قلبها فلا يسمع جرس، ولا يصير بكلمة على طرس. يعزّ على هذا القلم الذي براه البارئ لينضح العسل المصقى للمقسطين، وينطف الصاب والحنظل للقاسطين ويرسل الحمم مدراراً على المستعمرين أن تنتهي مظلمة المنصف إلى غايتها الشنعاء من موت الغربية، ومهانة الأسر، وتعتت الاستعمار نفلا يشنّها غارة شعواء على التعتت والمتعتتين.

يعزّ على هذا القلم الذي شدّ الحقّ أزره، وسدّد المنطق رمايته، أن يموت المنصف غريباً، مظلوماً مساوب التاج فلا ينفث كلمة تبعث الشجي، وتثير الشجن، وتحل عقدة الرواية...» (المصدر نفسه: ٤٣٦).

إنّ الإبراهيمي في مقاله هذا لا يأتي بالتراكيب كاملة التماثل؛ لأنّ ذلك أسلوب بسيط يؤدي إلى الملل والرتابة، وإنّما يأتي بالبنية مشكلة من جزئين «الأول نعدّه البنية التركيبية الأصلية، والثاني البنية التركيبية الفرعية، بحيث أنّ هذه الأخيرة قد نبعت من سابقتها، دون أن يكون بينهما فاصل أسلوبى وهذا هو سرّ انسياب البنية الفرعية، فكأنّه لم يحدث أىّ تغيير جوهري، وكأنّ التجديد البنيوى هذا لا يشكّل ثورة على البنية الأساسية» (بوزينة، ١٩٨٨: ١٠٦).

وإنّ هذا التنوع في أساليب التماثل والسجع أضفى على النص موسيقى جميلة تبعد عن المتلقى الملل. وهو تنوع يجعلنا نقف عند خاصية أخرى يميّز بها أدب الإبراهيمي، تلكم هي المحسنات البديعية التي لا يكاد يخلو منها نصّ لكنّها تأتي عفواً لا تكلف فيها في الغالب الأعمّ. فالدارس لنثره لا يرى في محسناته تكلفاً وإنّما يرى الجمال

والإبداع «يرى السجع الفنّي، والجناس المحلّي والطباق الّذى يخدم المعنى» (بومنجل، ٢٠٠٩: ١٠٨) وهذه المحسّنات ليست مفصولة عن المعنى خالية من كلّ صبغة فنيّة معنوية، فهو لا يأتي بالجناس والسجع ثمّ يبحث لهما عن المعنى، بل إنّ المعنى ذاته هو الذى يوحى له بهذا الأسلوب، ويدلّه على السجع الجميل فيأتي من غير تكلف «وكان يظهره فى ذلك محفوظ وفير وإمام بالعربية وسيع» (مرتاض، ١٩٨٥: ١٣١)؛ وعموماً يمكننا أن نعتقد جازمين أنّ المحسّنات البديعية عند الإبراهيمي لم تكن مجرد أصباغ وزخرفة شكلية، وإنّما هى حلل فنيّة ذات ارتباط وثيق بالمعنى، لم يكن الشيخ يتكلّفها، بل كانت من ثمرات باعه اللّغوى الواسع وثقافته القرآنية العربية الأصيلة.

نتيجة البحث

يعدّ الإبراهيمي من أبرز أقطاب الحركة الإصلاحية بالجزائر، وأحد أعظم رموز نهضتها الثقافية والأدبية. أوقف حياته، وسخر يراعه للدّفاع عن قضايا الوطن العربى والأمة الإسلامية. وتبقى اللّغة العربية من أهمّ القضايا التى شغلت باله، فعمل على إحيائها لتستعيد مكانتها كلغة دين، وعلم وثقافة. وقد تميّز عمله بـ:

- الوسطية: وتعنى مسايرة التطور ومعايشة الواقع دون الانسلاخ عن القيم والتنكر لكلّ قديم، فإحياء التراث العربى والمحافظة على مقومات الأمة لا يعنى بأى حال من الأحوال الرّكون إلى الماضى بل الإفادة منه واستلهاً معانيه واستخلاص العبر منه.

- مفهوم التّجديد الذى طبع أعماله الإصلاحية، طغى على أعماله الأدبية أيضاً، فهو ينهل من كنوز الأدب العربى فى عصوره الزّاهية ويغترف فى الوقت ذاته من روافد النهضة الفكرية والأدبية الحديثة.

- إنّ ما أهلّ الإبراهيمي لبلوغ مستوى راقى ومكانة أدبية عالية هو موهبته أولاً، وثقافته العربية العميقة الواسعة ثانياً، ثمّ عاطفته الجيّاشة الصادقة، ومشاعره الخالصة تجاه دينه ولغته وأمّته.

- إنّ عبقرية الإبراهيمي الأدبية وأصالته الإبداعية تتجلّى واضحةً فى أسلوبه المتأنق الّذى يجمع بين فخامة اللّغة وبلاغة التّعبير، وجمال الصياغة وحلاوة الإيقاع، وفى اعتماده الكبير على أسلوب القرآن وألفاظه، وفى قدرته الفائقة على التّصوير الفنّي المتنوّع.

المصادر والمراجع

الإبراهيمي، محمد البشير. ١٩٧٨م، آثار الإبراهيمي، ج ١، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. أكرم، بلعمرى. ١٤٣٠ق، معالم الفكر الإصلاحى عند الشيخ البشير الإبراهيمي، المقال متوفر فى العنوان التالى:

<http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=2215>

بوزوينة، عبد الحميد. ١٩٨٨م، بناء الأسلوب فى المقالة عند الإبراهيمي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

بومنجل، عبد الملك. ٢٠٠٩م، النشر الفنّي عند البشير الإبراهيمي، الجزائر: بيت الحكمة. الجندى، أنور. ١٩٦٠م، الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية، مصر: مطبعة الرسالة.

الدراجي، محمد. ٢٠٠٨م، الحركة الإصلاحية فى الجزائر، الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع. ركيبي، عبد الله. ١٩٧٤م، تطوّر النشر الجزائرى الحديث، تونس: الدار العربية للكتاب. سعد الله، أبو القاسم. د. ت، الحركة الوطنية الجزائرية، بيروت: دار المغرب الإسلامى. سنه، ناصر أحمد. ٢٠١٠م، ملامح الفكر التجديدى عند الشيخ البشير الإبراهيمي، منشورة فى موقع رابطة أدباء الشام على العنوان التالى:

<http://www.odabasham.net/show.php?sid=35082>

شاوش، محمد بن رمضان والغوثى بن حمدان. ٢٠٠١م، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، الجزائر: مطبعة داود بريكسى.

عباس، محمد. ١٩٨٤م، البشير الإبراهيمي أديباً، الجزائر: الديوان الوطنى للمطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران.

عبدالقادر، العربى. د. ت، الجمال والجلال فى تجربة محمد البشير الإبراهيمي الخطابية، منشورة فى موقع أصوات الشمال، مجلة عربية ثقافية اجتماعية شاملة على العنوان التالى:

<http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=29884>

عمر بن قينة. ١٩٨٣م، شخصيات جزائرية، الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر.

مرتاض، عبد الملك. ١٩٨٣م، فنون النثر الأدبى فى الجزائر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.

المقالات

الإبراهيمي، محمد البشير. ١٩٤٨م، «مشكلة العروبة فى الجزائر»، البصائر، س ٢، العدد ٤١. شريط، عبد الله. ١٩٨٣م، «الأديب العربى والشعب»، مجلة الاصاله، الجزائر، عدد ١٣، سنة ٣.

فيصل، شكرى. ١٩٨٥م، «قضايا الفكر فى آثار الإبراهيمى»، مجلة الثقافة، عدد ٨٧.
هيمه، عبدالحميد. ٢٠١٣م. «الآراء النقدية للشيوخ البشير الإبراهيمى فى كتابه التراث الشعبى
والشعر الملحون فى الجزائر»، مجلة الأثر، العدد ١٧.